www.ikhwanweb.com

IKHWANWEB TARJAMAT

IkhwanScope.com

مصر بين الأمرّين

باري روبين

بلغ الرئيس المصري حسني مبارك الثمانين من عمره. بعد أكثر من ربع قرن من منصبه الرئاسي فإنه مستعد لما هو أكثر من ذلك. ولكن كم سيستمر حكمه، أو نظامه؟ وهل كانت مصر في فترته في غاية السوء أم لم تكن؟

يعتمد هذا علي جعل مصر خارج الحروب وحقق القليل من التطور الاقتصادي، بالرغم من ثورة الخبز (رغيف العيش) الأخيرة. غير أنه لم يكن هناك تحسينات كبيرة.

يتذكر المرأ منا طرفة مصرية قديمة يحكي فيها طباخ الرئيس عن الفرق بين الرؤساء الثلاثة. فقال أما جمال عبد الناصر (1952- 1970) فكان دائما ما يتجه يسارا، وأما أنور السادات (1970- 1981) فكان يتجه يمينا، أما مبارك فقد أعطي إشارة لليمين وإشارة لليسار ثم قام بالانتظار.

هل قامت مصر بالانتظار طوال هذه الأعوام السبعة والعشرون؟ نعم، قامت بذلك في بعض الأمور. فالانتظار أفضل من الهبوط إلي الأسفل وبسرعة، ولكنه ليس أفضل من الإزدهار المستقر. فقد سجنت الحريات وقمعت بشكل دوري، وقد وقع مثل هذا في مراكز الشرطة في سوريا والعراق بشكل رسمي وأصبح الفساد مستشرياً.

لا يمكنني التحدث عن غموض نظام مبارك بدون التفكير في أغنية هارولد آرلين وتيد كويلر أولا، وهي الأغنية التي سجلتها أوركيسترا كاب كالوواي في العام 1931. تقول بدايتها: "لا أحبك ولا أقدر علي بعدك، وضعتني بين خيارين كلاهما مر."

تعتبره إسرائيل والولايات المتحدة والغرب عامة، غير مرض لشعبه في نواحي عديدة. فمصر تواجه سوء إدارة وحريات مغتصبة. أما إسرائيل، فعندها سلام وإن كان سلام بارد. أما الولايات المتحدة والغرب فيحصلان علي تعاون اسمي من القاهرة مع استخدام مفرط من قبل

الحكومة لمعاداة الأمركة، والقومية العربية المتطرفة وحتي شعارات التيار الإسلامي؛ كي تستطيع الحفاظ علي العامة في صفها.

ويبقي السؤال عالقا، ما البديل: عدم استقرار وعنف أم ثورة إسلامية متطرفة؟ أم أن هناك آمال واقعية تشير إلي شيء أفضل، يوحي بقيام دولة ديمقراطية معتدلة؟ ولكن هنا لا يجب أن تطرح النوايا الحسنة أو الأفكار المتطلعة الواقعية.

وفي أي تقييم لوضع السياسي، يجب أن نتذكر أن علم السياسة هو فن الممكن. فمصر بلد كثيف السكان غزير الموارد، وليست هناك حلول سهلة.

ويغني كالوواي: " عزمت علي أن أخرجك من حياتي، ولكن عندما تأتي وتطرق بابي، وكأن القدر ينزل السلوي علي قلبي، وأسرع لأحظي بالمزيد"

وبعد كل ذلك، فإن مثل هذه الانحرافات تشمل أشياء مثل تولي حماس للسلطة، والحرب الداخلية في العراق وتعدي حزب الله وتوسع إيران في السباق النووي. كما أننا اعتدنا علي التفكير في مصر كأهم دولة عربية، وقد كان هذا حقيقة منذ عقد أو اثنين أو ثلاثة.

وهكذا، مازال الغرب وإسرائيل يأملان. ربما تقوم مصر بكبح جماح حماس في قطاع غزة وتعيد عملية السلام لعهدها السابق. أو ربما تقود مصر تحالفا معتدلا ضد القوة الإيرانية السورية والتي تضم كل من حماس وإيران وسوريا وحزب الله. وأخبرني مسئول رسمي مسلم مؤخرا أنه يسميهم عائلة آدمز. وبعد كل ذلك، فإن كل هذه التحركات تصب في الصالح المصري فقط، أليس كذلك؟

فالمصالح المصرية تكمن في اللعب علي الجانبين في وقت واحد لتوسع أكبر بقدر الإمكان. وقد أخبرني دبلوماسي مصري منذ فترة قصيرة أنه نصح عرب إسرائيل بالتظاهر بأنهم مواطنون ممتازون وأن يطالبوا بالانضمام للجيش وبذلك يمكنهم تدمير الدولة بشكل أفضل. كما لامت جرائد الحكومة المصرية الإرهاب بشتي أنواعه في العراق ضمن المؤامرات الأمريكية.

في الوقت نفسه، يسير الإخوان المسلمون بكفاءة علية ويحكمون خططهم كي يتمكنوا من الانقضاض علي مصر. ومع هذا فإن المشككين وسيئوا النية والغرب كذلك لا يستطيعون إنكار أن الإخوان المسلمون معتدلون بالفعل؛ كما أنه ليس من السهل تجاهل برنامجهم أو أي شيء

يكتبونه بالعربية. ويرجع هذا إلي أنهم لا يحبون المنافسة مع القاعدة أو إيران فهذا يخرجهم عن دائرة الاعتدال.

هناك معارضة ديمقراطية معتدلة ومهذبة، ولكنها ضعيفة جدا وتفتقر إلي التنظيم. ولذلك فإن جماعة الإصلاح الرئيسية هي الإخوان المسلمين .

ماذا بعد؟ أيكون جمال مبارك الابن الأكبر للرئيس والبالغ من العمر 45 سنة ونائب الأمين العام للحزب الوطني الديمقراطي الحاكم. وهل من المحتمل أن يتعين بعض النواب لمحافظين أو أي منصب رسمي آخر؟

وبالنظر للحياة الاجتماعية فإنها تزداد ميولا للإسلام، وفقا لأغلب المعايير الحصرية التي طالب بها الإسلاميون. وهل يعني هذا تأرجح الناحية السياسية؟ ليس بالضرورة، غير أن الخطر يلوح بالأفق، فمصر مشهورة بالنضال. ويبدو أن ستكون هذه هي النتيجة علي الأرجح غير أنه لا يوجد أحد يمكنه أن يجزم بما سيحدث.